المحاضرة رقم 03: مقاومة الأمير عبد القادر 1832-1847.

بعد احتلال فرنسا لمدينة الجزائر، وجهت نظرها صوب المدن الساحلية الهامة، كاحتلالها لوهران سنة 1831، وعنابة والبليدة في سنة 1832، وبجاية ومستغانم وأرزيو في 1833، وقسنطينة 1837، وجيجل 1838..... وغيرها، راح الشعب الجزائري يقاومهم ويرد هجماتهم تحت قيادة بعض الشخصيات، ومن بين أهم المقاومات الشعبية مقاومة الأمير عبد القادر، فما المقصود بمصطلح المقاومة؟، ومن هو الأمير عبد القادر؟، وماهي دوافع مقاومته؟، وماهي مراحلها؟

1- المقاومة: هي رد فعل، ومواجهة للعناصر الدخيلة، ورفض تقبلها، والتصدي للاعتداءات التي تقع من طرف أي أجنبي.

2- الأمير عبد القادر: يقول عنه هنري تشرشل: "هو الابن الرابع لمحي الدين، ولد في شهر ماي 1807 في قرية القيطنة بمنطقة أغريس التي تقع في إقليم وهران"، حفظ كتاب الله وهو في الثانية عشرة من عمره، تلقى مبادئ العلوم الإسلامية واللغوية على يد والده، تدرب على الفروسية واستعمال السلاح والصيد، رحل في عام 1821 إلى مدينة وهران لإتمام تعليمه، وفي سنة 1823 قرر محي الداي وعبد القادر الحج، لكن باي وهران وضعهما تحت الإقامة الجبرية ولم يسمح لهما بالحج إلا في سنة 1825، وعادا إلى الجزائر في سنة 1828، شارك في سنة 1832 في عدة معارك إلى جانب والده، وفي سنة 1832-1833 تمت مبايعته أميرا على إيالة الغرب الجزائري.

3- دوافع مقاومة الأمير عبد القادر:

- احتلال فرنسا لمدينة الجزائر، وبعض المدن الساحلية الهامة خاصة وهران سنة 1831.

- انتهاء السيادة العثمانية على الجزائر، واشتداد الحاجة إلى قيام سلطة جزائرية تقود الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي.

- انتشار الفوضى في المناطق الغربية، وحرص الأمير عبد القادر على توحيد القبائل.

- تخلي المغرب والدولة العثمانية عن نجدة الجزائر في مواجهة الاحتلال.

4- مراحل مقاومة الأمير عبد القادر:

كان يحكم إيالة الغرب الجزائري الباي الحسن، هذا الأخير تخلى عن السلطة في سنة 1831، أي بعد احتلال فرنسا للمرسى الكبير، ونظرا لوجود قوات الاحتلال، وتصميم قادتها على احتلال وهران، طلب سكان الغرب الجزائري من الشيخ محي الدين أن يقود المعركة ضد الاحتلال الفرنسي، ومن أهم معاركه نذكر: معركة خنق النطاح الأولى ماي 1832، ومعركة خنق النطاح الثانية جوان 1832، وواقعة برج راس العين في الجهة الغربية من وهران، وقد أظهر الأمير عبد القادر بطولات في هذه المعارك.

ونظرا لإستمرار تدهور الوضع الأمني بالجهات الغربية بسبب الفراغ السياسي والإداري، اجتمع الأشراف والأعيان من جديد، وتقدموا للشيخ محي الدين وطلبوا منه قبول الإمارة لنفسه، فاعتذر عن قبولها، ورشح ابنه عبد القادر لذلك، وبعدها تمت مبايعة الأمير عبد القادر في نوفمبر 1832 (بيعة أولى)، وهناك بيعة ثانية في فيفري 1833 (بيعة رسمية).

ومن مراحل مقاومة الأمير عبد القادر، نذكر:

1- <u>مرحلة الإنطلاق والقوة 1832-1837</u>: من أهم نشاطات الأمير عبد القادر في هذه المرحلة:

- اتخاذ معسكر عاصمة لدولته.

- شروع الأمير في تشكيل حكومته سنة 1833، وتعيين القضاة، وتنصيب الولاة في مختلف أنحاء الإمارة، وشكل مجلسا للشورى من 11 عضوا.

- إنشاء الدواوين والإدارات المركزية، مع إختيار خلفائه وأعوانه.

- عمل الأمير عبد القادر على توحيد القبائل تحت سلطته.

- محاصرة مراكز المحتل في وهران ومستغانم، وهو ما أدى إلى الحصار الاقتصادي على الفرنسيين، مما اضطرهم إلى مهادنة الأمير عبد القادر، فأبرم قائد قوات الاحتلال بوهران الجنرال ديميشال مع الأمير عبد القادر معاهدة ديميشال في فيفري 1834، ومن أهم بنوذها: وقف القتال، وحرية التجارة، مع انفراد الأمير عبد القادر ضمنيا بالسلطة في سائر أنحاء الغرب الجزائري باستثناء وهران، مستغانم، وأرزيو، وقد استغل الأمير عبد القادر هذه الهدنة في توسيع نفوذه في كل من التيطري، مليانة، المدية، بسكرة، كما أسس جيش نظامي صغير من المشاة، والفرسان والمدفعية.

ومع تزايد نفوذ الأمير عبد القادر، قامت السلطات الفرنسية بعزل **الجنرال ديميشال** وعينت محله **الجنرال تريزل** الذي نقض معاهدة ديميشال (كان يتتبع تحركات الأمير عبد القادر، واستغل فرصة تصدي الأمير عبد القادر لموسى بن الحسين الملقب بأبي الحمار، هذا الأخير هاجم المدية واستولى عليها مدعيا بأنه المهدي المنتظر، لهذا اعتبر **تريزل** عمل الأمير هذا خرق للمعاهدة، وهاجم الأمير في **منطقة سيق** ظنا منه أن الأمير قد أنهكته الصراعات الداخلية، ولكن النصر كان حليف الأمير عبد القادر في معركة المقطع في 28 جوان 1835.

وبعد هذه الهزيمة، عين مكان **الجنرال تريزل الجنرال دارلانج** لكن لم تطل مدة حكمه، وعينت السلطات الفرنسية مكانه **المارشال كلوزيل**، هذا الأخير توجه إلى وهران وهاجم معسكر في 6 ديسمبر 1835(وجدها خالية) فقام بتخريبها، ثم قام كلوزيل بغزو تلمسان في 13 جانفي 1836، فحاصر المجاهدون الجزائريون تلمسان، وألحقوا هزيمة بالفرنسيين عند مصب وادي التافنة في 25 أفريل 1836.

وحتى تمارس السلطات الفرنسية الضغط على قوات الأمير، وتفك الحصار على تلمسان أرسلت نجدات بقيادة الجنرال بيجو في ماي 1836، ودخل هذا الجنرال بقواته في اشتباك مع قوات الأمير،

وتمكن من التغلب عليها في وادي زقاق غربي تلمسان (وادي سكّاك) في 6 يوليو 1836، لكن الصراع حول المنطقة استمر لمدة عام ونصف إلى غاية إبرام معاهدة التافنة في 20 ماي 1837، ومن أهم بنوذها:

- أن يعترف الأمير بسلطة فرنسا على مدينة الجزائر ووهران، مستغانم، وأرزيو وسهل متيجة.

- أن تعترف فرنسا بسلطة الأمير على البقية من ولاية الجزائر(القسم الذي لم يدخل تحت نفوذ فرنسا).

- تكون التجارة حرة للجميع.

- يلتزم الطرفان برد المجرمين، وتسليمهم إلى سلطتهم الشرعية.

ومعاهدة التافنة سمحت للأمير عبد القادر بإعادة تنظيم دولته.

2- <u>مرحلة تنظيم الدولة 1837-1839</u>: تمكن الأمير عبد القادر في هذه المرحلة من وضع أسس دولته، ومن أهم إنجازاته:

- تقسيم الجزائر إلى 8 مقاطعات، وعلى رأس كل مقاطعة وضع خليفة.

- تنظيم الحكومة.

- الإهتمام بشؤون الجيش، كما قام بشراء الأسلحة من الخارج، وأنشأ مصانع للسلاح، كما أقام حصون وقلاع عسكرية.

- أقام جهاز قضائي استمد أحكامه من الشريعة الإسلامية.

- تشجيع التعليم، بجعل التعليم مجاني للذكور والإناث، مع جمع الكتب والمخطوطات، وإرسال بعثات طلابية إلى مرسيليا.

- اهتم بالتجارة لا سيما تجارة الحبوب والصوف والأغنام، كما شجع الفلاحة وتربية الماشية.

- قام بسك عملة جزائرية سميت بالمحمدية.

- زيادة قيمة الموارد المالية (الزكاة، العشور، استحدث ضريبة المعونة لدعم الجهاد+ رسوم الأسواق).

- دعم وتحصين الجبهة الداخلية، وذلك بالقضاء على المتمردين كالقبائل التي امتنعت عن دفع الضرائب، وأيضا تأديب محمد التيجاني لخيانته وتمرده سنة 1838.

- الإهتمام بالسياسة الخارجية، من خلال إطلاعه على السياسة الخارجية عن طريق الصحف الفرنسية التي كانت تترجم له، كما حرص على إقامة علاقات دبلوماسية مع المغرب من أجل

الحصول على المساعدات المادية والتسهيلات، لكن ستتحول في الأخير إلى علاقات متوترة، وكانت له أيضا علاقات مع سلطة الاحتلال خلال فترات السلم.

3- <u>مرحلة الحرب والتسليم 1839-1847</u>: أمام كل التطورات والتوسعات التي عرفها الأمير عبد القادر خلال فترة المعاهدة، زاد تخوف السلطات الفرنسية مع نفوذ الأمير، وراحت تدبر حجة من أجل إعلان الحرب من جديد، وكانت حجتها في ذلك أن الأمير توسع نحو الشرق، وهذا يعتبر خرق للمعاهدة، لكن نجد أن الأمير لم يكن مستعد للحرب، وراح يفاوض الملك لويس فليب وحكومته سنة 1838، ونجد أن الحكومة الفرنسية استغلت ذلك وعرضت عليه مشروع معاهدة جديدة مقابل شروط قاسية، من بينها: مراقبة واردات الأمير عبد القادر من السلاح، وكذلك قامت الحكومة بأعمال استفزازية، ومن البديهي أن لا يقبل الأمير هذه الشروط، وفي مقابل ذلك ظل حريصا على إطالة أمد السلم الذي قطعه الفرنسيون الذين قاموا بحملة في سنة 1839 من قسنطينة إلى الجزائر عبر سطيف بقيادة الدوق أورليان، قامت باختراق المناطق التابعة للأمير، فلم يتحمل الأمير ذلك وأعلن الجهاد، حيث هاجم جيش الأمير عبد القادر الفرنسيين بمتيجة في نوفمبر 1839، وتوالت الهجمات في مختلف أنحاء البلاد، وكان النصر في بداية حليف الجزائريين، وهو ما جعل الحكومة الفرنسية تعيد النظر في تعيين **الجنرال بيجو** مكان **الحاكم العام الفرنسي فالي**، وقد وضع الجنرال بيجو خطة محكمة من أجل التغلب على الأمير عبد القادر، تمثلت في: شن هجمات على القبائل التابعة للأمير، وغلق الحدود في وجهها لمنعها من اللجوء إلى المغرب، مع تطبيق سياسة الأرض المحروقة، مع احتلال عدة مدن كالمدية، شرشال، مليانة، تكدامت، معسكر سنة 1841، وتلمسان 1842، وأمام كل هذه الجرائم والمجازر، أنشأ الأمير عاصمة متنقلة عرفت بالزمالة، واتصل بالدولة العثمانية وبريطانيا لطلب العون لكن بدون جدوى.

وأمام كل هذه العواقب، فقد الأمير أهم مراكزه العسكرية والإدارية والاقتصادية، ولم يعد قادرا على تنظيم القبائل(إنضمام بعضها إلى جانب الفرنسيين) ولا جباية الضرائب، وتم التبليغ عن مكان الزمالة (تعرض أهلها للفظائع)، وأمام كل هذه الصعوبات ومطاردة فرنسا للأمير عبد القادر، لجأ سنة 1844 إلى المغرب من أجل استرجاع القوى فحظي بدعم شعبي وحكومي واسع، وأمام عجز فرنسا عن تصفية قوات الأمير لما كانت توجه لجيشها ضربات ثم تنسحب للمغرب، حملت سلطان المغرب مسؤولية هذه الهجمات، وطلبت منه إلقاء القبض على الأمير عبد القادر (فقد مورس ضغط على السلطان المغربي من قبل فرنسا)، ولما وجد الأمير عبد القادر نفسه محصورا بين القوات المغربية والفرنسية قرر الاستسلام للسلطات الفرنسية سنة 1847 مقابل شرط، وهو السماح له ولمن أراد من رفاقه الهجرة بالهجرة إلى الإسكندرية، وإعطاء الأمان لكل موظفيه وجنوده، لكن فرنسا تنكرت لهذا الشرط وأسرته بفرنسا إلى غاية سنة 1852، ثم انتقل إلى اسطنبول، ثم بورسة، ثم بيروت، ومنها إلى دمشق سنة 1856 أين توفي بها.